تأبين فقيد مصر العظيم

المغفور له المرحوم بطرس باشا غالي

مما يذكر لمعشر السيدات من دلائل الرقي والتقدم في معارج المدنية الصحيحة ذلك الشعور الحي والعاطفة الشريفة التي اظهرنها في اقامتهن احتفالاً خاصاً لتأبين فقيدنا العظيم المرحوم الطيب الذكر والاثر بطرس باشا غالي على ذكر سنة خلت من انتقاله لانهن بذلك اثبتن علو مكانتهن من الفكر ومعرفتهن بقدر العاملين لخير البلاد وصلاح الأمة

وقد شرفني ان كنت ضمن من نطقوا بتأبين ذلك الفقيد الجليل وقد نشرت كلمتي في حينها على صفحات الجرائد اليومية الا ان الكثيرين أبوا الا ان يروها مدونة على صفحات هذه المجلة فلم يسعني الا اجابة طلبهم اعزهم الله والهم مصر على فقد الراحل عزاء جميلاً .

هذا وقد وصلتنا رسائل عديدة من درر المنظوم والمنثور في هذا الصدد نرجو مرسليها عفواً اذ لم يسمح نطاق المجلة بايرادها . اما كلمتي فكانت :

سيداتي الفاضلات

دعيت بغتة الى ان ألقي كلمة رثاء لفقيد الامة والوطن الذي رحل عنا في مثل هذا اليوم المشؤوم من العام الماضي فوقفت بين عاملين قويين — عامل هو عدم امكاني التفرغ لايفاء حق الفقيد قدره وعامل هو الواجب الانساني نحو رجل الدنيا وفقيد الامة المصرية

تغلب عليَّ العامل الثاني فلبيت الدعوة معتقدة ان للراحل العظيم علينا واجبات يحق لنا معشر السيدات القيام بها وعدم التغافل عنها فلي من مكارم اخلاقكن

وتسامحكنّ اعظم شفيع يشفع لي عن تقصيري فيما يجب على نحو فقيد الامة الذي ما اجتمعنا في هذا المقام المقدس الا لبث ماتكنه قلوبنا نحو ذلك الحادث الجلل الذي ترك بها جرحاً لا يبرأ واثراً لن يزول على مر الايام والاعوام .

من منا المجتمعات هنا الان لا تردد ذكرى ذلك اليوم المشؤوم الذي رزئت فيه مصر بخطب جلل علت له الزفرات وسالت من اجله العبرات . يوم رهيب اتى الدهر فيه بما هدّ الاصلاب وأطار الالباب من جراء تلك النازلة الهائلة والفاجعة الفظيعة التي اضعفت العزائم القوية وابكت العيون الأبية ألا وهي قتل رجل المجد والمعالي . طيب الذكر جليل الاثر المرحوم بطرس باشا غالي

نعم . لقد اندك طود ذلك البنيان الباذخ . وأفل نجم السعادة وهوى من برجه الراسخ . بعد ان كان كوكباً منيراً في الظلام . ودرة يتيمة في وسط تاج الانام . ذهبت روحه الشريفة ضحية الجهل والغرور . تشهد باريها انها لم تقم الا بكل عمل مبرور .

فلا عجب اذا سالت لموته دموعنا وأمطرت لفقده عيوننا . وهلعت لفراقه قلوبنا اذ خسرت مصر بموته خسارة لا تعوض . خسرت ذلك الرجل السياسي المحنك الذي خبر الايام وعرك الدهر حتى سما بفضل جده واجتهاده وذكائه النادر الى أوج المعالي

نعم . لقد مات مأسوفاً عليه من الكبير والصغير والغني والفقير ولكنه خلف اعمالاً ستحيي ذكراه الحسن ويخلدها له التاريخ على مر الاجيال لانه كان رجلاً والرجال قليل

يكفي لمعرفته ان نلفت نظرنا يمنة ويسرة فنجد كل ما حولنا من آثار الرقي ودلائل الحياة ووسائط العمران اثراً من آثاره الحميدة التي تشهد بفضله وكماله ونشاطه واجتهاده وخبرته الواسعة ودرايته التامة

نعم . مات بطرس باشا غالي — ولكنه لم يمت — بل سيبقى ذكره خالداً على الالسن — واسمه الخالد متردداً على الشفاه — وسوف تلقنه الامهات للابناء ويكررنه لهم صباح مساء ليكون احسن قدوة واشهى مثال واعظم عبرة لرجال الغد في الاخلاص والتفاني في حب الوطن

ان لمحة من تاريخ ذلك الراحل العظيم لهي مثل من اجود الامثلة . بل صورة للرقي من اجمل الصور . بل درس نافع يستفيد منه الكبير والصغير فوائد عظيمة الشأن اهمها الثبات في العمل . والاعتماد على النفس

ولد المأسوف عليه رحمه الله في سنة ١٨٤٦ وكان والده وقتئذٍ موظفاً بدائرة المرحوم فاضل باشا فاعتنى به منذ طفوليته ولما ترعرع ارسله الى مدرسة حارة السقايين حيث تلقى بها دراسته الاولية ثم نقله والده الى المدرسة القبطية الكبرى فاظهر بها من النجابة وتوقد الذهن ما اعجب به مدرسوه خصوصاً معلمه الذي درس عليه العربية والافرنسية اذ تنبأ له بانه سيكون يوماً ما وزيراً

نقل بعد ذلك الى مدرسة انجال الامير فاضل باشا فتعلم فيها اللغات التركية والفارسية والايطالية والالمانية وخرج من هذه المدرسة واستخدم بصفة معلم في مدرسة حارة السقايين (التي كان تلميذاً بها) ولكن لم يلبث بها زمناً حتى تركها لقلة راتبه الذي لم يكن يتجاوز السبعة جنيهات شهرياً

طلبه شريف باشا — الذي كان وزيراً في ذلك الوقت — فراقه كلامه واعجب بنباهته واشار اليه ان يقدم في امتحان وظيفة مترجم لمجلس التجارة بالاسكندرية فحاز قصب السبق فيها وعين في هذه الوظيفة سنة ١٨٦٧ براتب ١٢ جنيهاً شهرياً ثم رقي كاتب افرنكي للمجلس في سنة ١٨٦٩

وفي سنة ١٨٧٢ عين باشكاتباً لذات المجلس . وفي سنة ١٨٧٣ عين باشكاتباً لنظارة الحقانية . وسنة ١٨٧٥ رقي لوظيفة رئيس اقلام عربي وترجمة نظارة الحقانية وانعم عليه بالرتبة الثانية (بك)

اظهر الفقيد — رحمه الله رحمة واسعة — في منصبه هذا همة عالية واجتهاداً فائقاً عين من اجله سكرتيراً لعموم نظارة الحقانية براتب ٨٠ جنيهاً شهرياً وانعم عليه برتبة المتياز وذلك في نفس السنة أي سنة ١٨٧١ . وفي سنة ١٨٨٠ عين في وزارة رياض باشا نائباً عن الحكومة المصرية في لجنة التصفية . وفي سنة ١٨٨١ عين وكيلاً لنظارة الحقانية . وفي سنة ١٨٨٢ أنعم عليه برتبة الميرميران الرفيعة — ثم عين عضواً في اللجنة المالية . وفي سنة ١٨٧٣ اشتغل مع قدري باشا في تنميم ترجمة وتبريب قوانين المحاكم المصرية الجاري العمل بمقتضاها الان . وفي سنة ١٨٨٤ عين ناظراً للخارجية واستمر بها لغاية سنة ١٩٠٨ حيث عين رئيساً لمجلس النظار وظل يعمل لصالح أمته و بلاده الى ان اخذ على غرة منه وقتل غدراً حال انصرافه من النظارة ظهر يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠

هذا هو ايتها السيدات مجمل تاريخ فقيد مصر العظيم الذي اجتمعنا اليوم احياء لذكره المجيد . هذا هو تاريخ رجل نشأ عصامياً بمعنى الكلمة ومات شاغلاً لأكبر المناصب واسماها في الحكومة المصرية

فلا عجب اذا ما ندبه كل مصري حميم و بكاه كل عاقل حكيم

فيا ايها الراحل الكريم والفقيد العظيم نم هادئاً في ضريحك مطمئناً في حدثك فان الأمة المصرية باسرها التي تقدر ما قمت لها به في حياتك الطيبة من جليل الخدمات . ودفعت عنها بحزمك وعزمك الكارثات. لن تنسى لك هذه الحسنات ولا عجب اذا قامت اليوم كبارها وصغارها رجالها وسيداتها وذكروا لك حسناتك وعدوا مآثرك

فسلام لك أيتها الروح الخالدة . سلام لك أيها البطل العظيم. والراحل الكريم سلام لك ايها القلب الطاهر. سلام . سلام عليك من افئدة قد كساها الحزن ثوب الاسف طول الحياة . سلام عليك من قلوب ذابت أسى . فسلام عليك يا بطرس في ضريحك . تمدك الله برحمته وأسكنك فسيح جنانه والهمنا وآلك وذويك جميل الصبر و العزاء